﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ العدلِ الإلهيِّ في البعث والجزاء

لمّا ذكَرَ في الآيات السّابقة خَلْقَ السّماوات والأرض والإنسان، وبيَّنَ استحالةَ أنْ يستويَ الأعمى والبَصير؛ فذكر فارقًا ماديًّا حسّيًّا، ثمّ بيّن استحالةَ أنْ يستويَ الَّذين آمنوا وعملوا الصّالحاتِ والمسيءُ أتبَعَ ذلك بهذه الآيةِ الَّتي تؤكِّدُ السّاعةَ وإتيانَها؛ فإنَّه ﷺ أرادَ من تلك الآياتِ الاستدلالَ على البعث؛ لأنّ الإلهَ الَّذي خلق السّمواتِ والأرضَ قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها، ومحاسبتِها لتُجزى كلُّ نفس بما عملتْ، فقدَّم الدّليل، ثمَّ ذكر المدلول[1]. فاقتضى أنْ يأتيَ اليومُ الَّذي يقفُ فيه الجميعُ أمام عدل اللّه وحكمه سبحانه؛ ليبيّنَ في ذلك الموقف صدقَ هذه القاعدة الَّتي تمنعُ مساواةَ النّاسِ بعضِهم ببعضٍ؛ وأنَّهم سيُحاسبون هناك تبعًا لِما يؤدّونه من أعمالٍ، وما يؤمنون به مِن مُعتقَداتٍ.

فناسبَ أنْ يُعلِنَ في هذه الآيةِ تأكيدَ مجيء السّاعة؛ وهي ساعةُ البعث ويوم الحساب، فلا بدَّ من مجيئها، وليس بمرتابٍ فيها، وما جادل فيه المجادلون واقعٌ لا محالةَ[2].

إعلان تحقُّق قيام السّاعة بعدَ الحِجاج والاستدلال

و"لمّا أُعطيَ إثباتُ البعث ما يحقُّ مِن الحجاج والاستدلال تهيَّأ المقامُ لاستخلاص تحقيقِه كما تُستخلَصُ النّتيجةُ من القياس، فأُعلِنَ بتحقيقِ مجيء السّاعة وهي ساعة البعث"[3].

(1) ابن جزّي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 234.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 179، والبقاعي، نظم الدّرر: 17/ 97 - 98.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 179.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: جزء من أجزاء الزّمان، جذرها (سوع)، ويعبّر به عن القيامة، وهي القيامة المتضمّنة للبعث من القبور والحساب بين يدي الله تعالى، واقتران الجمع إلى الجنّة وإلى النّار[1]. ومن الآياتِ الَّتي اجتمع فيها المعنيان قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ [الرّوم: 55]، فالأولى هي القيامة، والثّانية الوقت القليل من الزّمان[2]. والمراد بها هنا: القيامة.

2) ﴿رَيْبَ﴾: جذر الكلمة هو (ريب)؛ والرَّيْبُ: الشَّكُّ. وهو: ما رابَكَ من أمْرٍ تخوّفتَ عاقبتَهُ، يقال: رابَني كذا، وأرابَني، فالرَّيْبُ: أن تتوهَّمَ بالشَّيء أمرًا ما، فينكشفَ عمّا تتوهّمُه[3]. ومنه سمّي الموت ريبًا في قوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: 30]؛ لأنَّه مشكوك في وقت وقوعِهِ لا في كونِهِ حاصلًا. ومنه قوله ﷺ: «دَعْ ما يريبُكَ إلى ما لا يريبُك، فإنَّ الخَيرَ طُمأنينَةٌ وإنَّ الشَّرَّ ريبَةٌ»[4]. ومعنى: "﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: لا شكَّ في إتيانها بوجهٍ من الوجوه"[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

السّاعةُ يقينٌ لا شكَّ فيه وإيمانٌ بالغيب

أخبرتِ الآيةُ عن مجيء السّاعة في الوقت الَّذي يختارُه الله تعالى لها؛ لا ريبَ ولا شكَّ في مجيئها في الوقت الَّذي يشاؤه الله تعالى، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بذلك لغفلتِهم وقُصورِ نظرهم، واستحواذِ الشَّيطان عليهم. فتجدُ أكثر النّاس يجادلون في

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 566.
(2) الراغب، المفردات،: (سوع).
(3) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (ريب).
(4) الحاكم، المستدرك على الصّحيحين، حديث اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، رقم الحديث: (2169): 2/ 15.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 98.

إمكان حدوث ذلك[1]، فينكرون القيامة، بدواعٍ كثيرةٍ تَصرِفُهم عن الإيمان، وهو الإيمان بالغيب الَّذي هو أساس الاعتقاد.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآية عن سابقتِها:

التَّفريقُ بين الجملتين؛ لعدمِ جامعٍ بينهما

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ عن سابقِهِ؛ لأنَّ بين الجملتين كمالَ الانقطاع؛ فمَعَ أنَّ الجملتين متَّفقتان في الخبريّة، إلّا إنَّه يجبُ الفصل بينهما لعدم وجودِ جهةٍ جامعةٍ بينهما، وهي ما لا يُتصوَّرُ العطفُ بدونها.

فائدةُ تتابُعِ المؤكِّداتِ في صدرِ الآية:

الإيمانُ بالغيب ركنٌ مكينٌ من أركان الدّين

في الجملةِ الاسميَّةِ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ "تأكيدٌ للخبر بـ ﴿إِنَّ﴾ وبلام الابتداء؛ لزيادةِ تحقيق المعنى، وللإشارة إلى أنّ الخبر تحقَّقَ بالأدلَّةِ السّابقة. وذلك أنّ الكلام موجَّهٌ للَّذين أنكروا البعث"[2]. وهم أكثرُ النّاس، وهذه قضيَّةُ إيمان بالغيب، قال تعالى في أوّل سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 3]؛ فالإيمانُ بالغيب أحدُ أهمِّ أركان الإيمان.

معنى (أل) في ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾:

مجيءُ يومِ القيامةِ حقٌّ

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ، لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها[3]. وفائدتُها بيانُ أنَّها يومُ البعث لا غيرُهُ، فالسّاعةُ مجازٌ في يوم القيامة، وهذا كثيرٌ في القرآن الكريم.

علَّةُ إيثارِ لفظِ ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾:

أمرُ السّاعةِ محسومٌ، ودلالةُ لَحْظيَّتِها وبَغْتتِها مقصود

لمّا عَظُم أمرُ يوم القيامة، وكثُرت أهواله سمّاه اللّه تعالى في كتابه بأسماءٍ كثيرة ومتنوِّعة؛ تنبيهًا للعباد؛ ليخافوا منه ويستعدّوا له؛ إذ

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 12/ 304.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير(بتصرّف): 24/ 179.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 9/ 214.

بلغتْ نحوَ ثمانين اسمًا، منها: يوم الجمع، ويوم الفزع الأكبر، ويوم التّناد، ويوم الوعيد، ويوم الحسرة، ويوم التّلاق، ويوم المآب، ويوم الفصل، ويوم العرض على الله، ويوم الخروج، ويوم الخلود. ومن أوصافِهِ: يومٌ عظيم، ويومٌ عسير، ويومٌ مشهود، ويومٌ عبوس وغيرُها.

وفي هذه الآيةِ أوثرَ تسميتُها بيوم السّاعة؛ إذ تميَّزَ هذا الاسمُ عن جميع المسمَّياتِ بالمسألة اللَّحْظيّة، أو البغتةِ الَّتي تُدرك النّاس وهم في غفلةٍ، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: 187]. قال القاسميُّ: "سُمّيت القيامة (ساعةً) لأنَّها تَفْجَأُ النّاسَ بغتةً في ساعةٍ لا يعلمها أحدٌ إلّا هو تعالى[1]". فضلًا عن "سرعة الحساب فيها"[2]. وقد مَرَّ في شرح المفردات أنَّ مِن معاني السّاعة أنَّها جزءٌ من أجزاء الزّمان، وفي ذلك دلالةٌ على قِصَرِ زمنِها وقلَّتِهِ.

وإيثارُ لفظِ السّاعة أيضًا لبيانِ أنّها محسومٌ أمرُ وقوعِها، لكنَّها مسألةُ وقتٍ فحسب، وأنْ لا أحدَ يعلمُ وقتَ وقوعها، وأنَّ ذلك أمرُ الله.

بلاغةُ المجازِ في إسنادِ الإتيان إلى السّاعة:

قُدومُ السّاعةِ لا مناصَ مِنه ولا إفلات

السّاعةُ لا تأتي بنفسِها وإنَّما يأتي بها الله؛ فقولُهُ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ فيه مجازٌ عقليٌّ، حيث أُسنِدَ الفعلُ إلى غير فاعله لعلاقة المُسبَّبيّة.

ويجوزُ أن يكون في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ استعارة، حيث شبه السّاعة بإنسانٍ يأتي على موعده، فهي استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ لأنَّه حذف

(1) القاسمي، تفسير القاسمي: 4/ 342.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/ 412.

المشبَّه به، وأتى بالمشبّه، وفائدتُها التّشخيص، فجعل يوم القيامة كشخص قادم إلى هؤلاء، مهما حاولوا الإفلات والابتعاد فإنَّه ملاقيهم وواقع بهم.

نكتةُ التّعبير باسم الفاعل (آتية):

تحقيقُ وقوع السّاعة وتأكيدُ حتميَّتِها

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ جيء باسم الفاعل في (آتية) الَّذي هو حقيقةٌ في الحال؛ للإيماءِ إلى أنَّها لمّا كانتْ محقَّقة الوقوعِ صارتْ كالشَّيءِ الحاضرِ المُشاهَدِ، فالأمرُ قد قُدِّرَ، وإنَّ وقوعَها محتومٌ ثابتٌ، وعِلْمُهُ عندَ الله تعالى، فالمراد تحقيقُ وقوعِها لا الإخبار عن وقوعها[1].

نكتةُ فصلِ قولِهِ: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾:

نفيُ الرَّيب عن السّاعة

جملةُ ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ مؤكِّدة لجملةِ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾، وبين هاتين الجملتين الخبريّتين كمالُ الاتّصال، فوجَبَ الفصلُ بينهما لاتِّحادهما. ونفيُ الرَّيبِ عن نفس السّاعة مرادٌ به نفيُهُ عن إتيانِها؛ لدلالةِ قوله: (آتيةٌ) على ذلك[2].

معنى ﴿لَّا﴾ في قوله: ﴿لَّا رَيْبَ﴾:

يومُ الحساب انتصافٌ للمظلوم وانتقامٌ من الظّالم

نفى النَّظمُ الحكيمُ في قوله: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ جنسَ الرَّيبِ في وقوع السّاعةِ باستعمالِ ﴿لَّا﴾ النّافيةِ للجنس؛ لأنَّ دلائلَها واضحةٌ بحيث لا يُعتَدُّ بريبِ المُرتابين فيها؛ لأنّه ليس من الحكمةِ عند عاقلٍ أن يساويَ أحدٌ بين محسنٍ ومسيءٍ، فكيف يُظَنُّ ذلك بأحكم الحاكمين الَّذي نشاهده يُميت المُسيءَ وهو في غاية النّعمة والمعصية، والمحسنَ وهو في غاية البلاء والطّاعة، والمظلومَ قبل أن يَنتَصِفَ من الظّالم، ولهذا الأمرِ الظّاهر قال: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 180.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 180.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/ 529.

غرضُ التَّعبيرِ بالظَّرفيَّة ﴿فِيهَا﴾:

(في) الواردة في قوله تعالى: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ ظرفيَّةٌ مجازيَّة[1]. فقولُهُ: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في نفسها وذاتها، وإنْ وجد من العالم من يرتاب فيها فليس فيها في نفسها ريبة[2]. والمعنى: أنَّها آتيةٌ وأنَّها ليست محلًّا للرَّيبِ ولا ظرفًا له[3]، فالسّاعةُ هي مكانُ الصِّدقِ وحَتْميَّةِ التَّحقُّقِ، وليست مكانًا لأيِّ نوعٍ من أنواعِ الرَّيبِ والشَّكِّ.

السّاعةُ مكانُ وزمانُ تحقُّقِ العدالةِ الإلهيَّةِ

بلاغةُ المجاز في نفيِ الرَّيبِ عن نفسِ السّاعة:

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ مجازٌ في نفي الرّيب عن نفس السّاعة؛ إذ المعنى: لا ريب في وقوعها وحدوثها، فهو مجازٌ مرسل علاقتُهُ الزَّمانيّة. وفائدةُ المجاز هنا بيانُ نهايةِ الزَّمانِ الدُّنيويِّ، وخاتمةِ الدُّنيا، ونهايةِ أيّامِها، وبداية الآخرة.

السّاعةُ دليلٌ على نهايةِ الزَّمان الدُّنيويِّ وبدايةِ الآخرة

معنى الواوِ، وفائدةُ الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

ظاهرُ جملةِ الاستدراك أنَّها معطوفةٌ على جملة ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾، ولولا أنَّ (لكنَّ) يكثرُ أنْ تقعَ بعد (واو) العطف؛ لكانت الجملةُ جديرةً بالفصل دون عطفٍ، فهذا العطفُ تحليةٌ لفظيّةٌ[4]، وهذا الاستدراكُ الَّذي خُتمتِ به الآيةُ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّه يدلُّ على سؤالٍ مقدَّرٍ، فبينَ الجملتين شبهُ كمالِ الاتِّصال، ومن حقِّه الفصلُ لا الوصلُ، لكنْ ما سوَّغَ الوصلَ هو اقترانُ (لكنَّ) الاستدراكيَّةِ بالواو كثيرًا، وموقعُ الاستدراك هو ما يثيره نفيُ الرّيب عن وقوع السّاعة؛ من التّساؤل: كيف يَنفي الرّيبَ عنها والرّيبُ حاصلٌ لكثيرٍ من النّاس؟! فكان الاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جوابًا للسّؤال. والمعنى: ولكنَّ أكثر النّاس يمرّون بالأدلَّةِ

الاستدراكُ بنفي الإيمانِ بالسّاعةِ دليلُ الرَّيبِ والجهل

(1) المُبرّد، المقتضب: 4/ 139.
(2) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 566.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 333.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 180.

والآيات وهم مُعرِضون عنها غيرُ مؤمنين بمدلولاتها، ولو تأمّلوا في أنفسهم واستنبطوا بعقولهم لظهَرَ لهم من الأدلَّة ما يؤمنون بعده. أو يكون تقديره: فيجبُ على النّاس أن يؤمنوا، وإلّا فإنَّهم على خطرٍ عظيم، ولكنَّ أكثرَهم غيرُ مؤمنين. فلذلك نَفى عنهم هنا وصفَ الإيمان[1]. فالاستدراكُ على قولِهِ تعالى: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ هو إمّا من تمامِ الكلامِ المأمورِ بهِ، أو كلامٌ مسوقٌ من جهتِه تعالى تحقيقًا للحقّ وتنبيهًا على أنَّ ارتيابَهُم لجهلِهم وقُصورِهم في النّظرِ والتّفكُّرِ، لا لأنَّ فيه شائبةَ رَيْبٍ ما[2].

معنى (لكنَّ) وبيانُ موقعها في الآية:

إنكارُ وُقوعِ السّاعة مِن أشدِّ أماراتِ الجحود

(لكنّ) حرفُ استدراكٍ مشبَّهٌ بالفعل؛ وفائدةُ الاستدراكِ فيها – على ما قرَّره أهل العلم باللِّسان –: أنْ تقعَ بينَ كلامَينِ بينَهما تنافٍ بوجهٍ ما؛ لتؤدّيَ معنى مخالفةِ حكمِ ما بعدَها لحكمِ ما قبلَها، ولذلك لا بدَّ أن يكون الكلامُ الَّذي يتقدَّمُها نقيضًا لِما بعدها، أو ضدًّا له[3]. وعدمُ إيمانِ أكثر النّاس في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يناقضُ حَتْميَّةَ وقوعِ السّاعة في الآية. ووجه الاستدراكِ: أنّ مجيءَ السّاعة وعدمَ الرّيب في وقوعها مع قطعيَّتِهما يُنكِرُهُ كثيرٌ ممَّن لم يَبلُغْهُ مقاصدُ هذا الصّنيع، أو بلَغَهُ لكنْ حَمَلَهُ تكبُّرُهُ على النُّكران؛ ليظهرَ الجحودُ في أوضحِ صورةٍ وأتمِّ بيان.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ التَّفضيلِ ﴿أَكْثَرَ﴾:

عدمُ الإيمانِ بالبعثِ والحسابِ من مُعتقَدات أغلبِ البشر

تدلُّ صيغةُ التَّفضيل (أفعل) على إظهارِ التَّفوُّقِ أو التَّفضيلِ بين شيئين، فدلَّتْ في قوله: ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ على أنَّ عموم النّاس ممَّن بلغوا سنَّ التَّكليف غيرُ مؤمنين بالقيامة، وبالحساب يوم القيامة،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 74، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 180.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 74، وابن عجيبة، البحر المديد: 8/ 74.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 1/ 101، والسامرائي، معاني النحو: 1/ 307.

فيكونُ المرادُ بـ ﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ الكفّارَ والَّذين ينكرون البعثَ والقيامة[1]، وهم حتمًا أكثرُ ممَّن آمَنَ وصدَّقَ بهذه الأمور الغيبيَّة، ولو قال: (ولكنَّ كثيرًا مِن النّاس) لَما دلَّ على الأغلبيَّةِ غيرِ المؤمنة.

نوع الإضافة في ﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾:

اسـمُ التَّفضيل في (أكثَرَ النّاسِ) دالٌّ على الغالبيَّة

الإضافةُ نسبةُ اسمٍ إلى اسمٍ آخرَ ليتعرَّفَ السّابقُ باللّاحق أو يتخصَّصَ به، هذا في الإضافةِ المحضة، أمّا الإضافةُ غيرُ المحضة فلا يستفيدُ المضافُ من المضاف إليه تعريفًا ولا تخصيصًا، بل هو باقٍ على تنكيره؛ لأنَّ الغرضَ منها لفظيٌّ يرجعُ إلى تخفيف اللَّفظ بحذفِ التَّنوين[2].

واختُلف في إضافةِ اسم التَّفضيل لِما بعده: محضةٌ أم لا؟ والجمهورُ على أنَّها محضةٌ، فيكتسبُ اسم التَّفضيل التَّعريف أو التَّخصيص ممّا بعدَه[3].

وفي قوله تعالى: ﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ الإضافةُ محضةٌ على القول الرّاجح، فاكتسَبَ من ﴿ٱلنَّاسِ﴾ التَّعريف، والمعنى هو الدّلالة على الغالبيَّةِ عمومًا.

نكتةُ نفيِ الإيمانِ عن الأكثريَّة:

غَـلَـبـةُ الأهـــواءِ على الحقِّ في كلِّ زمان

المرادُ بالنّاسِ في قوله تعالى: ﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ المشركون، وهم يومَئذٍ أكثرُ من المؤمنين، فدلَّ ذلك على أنَّ أكثرَ النّاسِ لا ينصاعون إلى الحقائقِ بل إلى الأهواء، ومهما جاءتهم الآياتُ البيِّنات فإنّهم لا يؤمنون، ويكونُ المؤمنون على وجهِ الأرض هم الأقلَّ في كلِّ أزمان الدُّنيا؛ كلٌّ في عصره، أو هم الأقلَّ في عموم ما خلَقَ الله من ذرّيَّةِ آدمَ إلى قيام السّاعة.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 527.
(2) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على الألفية: 3/ 44.
(3) رضي الدين الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية: 2/ 247.

معنى (أل) في ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

(أل) التّعريف في ﴿ٱلنَّاسِ﴾ للجنس، فأفادت العموم، فغالبُ النّاسِ هنا مقصودون على اختلافِ أجناسِهم ولغاتهم وألوانهم، فالآيةُ تتكلَّمُ على النّاس الَّذين قدَّرَ اللّهُ لهم أنْ يحيَوا في هذه الحياة ويبلغوا سنَّ الرّشد، وهم قادرون على التَّمييّز بين الحقّ والباطل إلّا أنَّهم كذَّبوا بالسّاعة تكبُّرًا وعنادًا.

العمومُ في (النّاسِ) إشارةٌ إلى كثرةِ البشرِ المنكرين للحساب

وراعى معنى الأكثرِ فجمَعَ؛ لأنَّ الجَمْعَ أدلُّ على المرادِ وأقعدُ في التَّبكيت[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارع ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

جاء خبرُ (لَكِنَّ) في قولِهِ سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جملةً فعليَّةً فعلُها مضارعٌ منفيٌّ بـ﴿لَا﴾، وهذه الصّيغةُ هنا دالَّةٌ على تجدُّدِ الكفرِ وعدمِ الإيمان مهما جاءهم من البيِّنات والهدى؛ إذ إنَّ الآياتِ البيِّناتِ تأتيهم تَتْرى، ولكنَّ أكثرَ النّاس لا يؤمنون بها، ويتجدَّدُ كفرُهم بتكذيبِها عنادًا واستكبارًا، فظاهرةُ عدمِ الإيمان مِنهم متجدِّدةٌ دائمة.

إنكارُ الحقِّ مع تجدُّدِ الآياتِ دليلٌ تمكُّنِ الكفر

نكتةُ نَفْيِ خبرِ (لكنَّ) بـ﴿لَا﴾ في قولِهِ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

إذا دخلتْ ﴿لَا﴾ النّافيةُ على المضارعِ أفادَتْ نفيَهُ في الحالِ مُنسحِبًا إلى الاستقبال على قولِ فريقٍ مِن النَّحويّين، أو خَلَّصَتْهُ للاستقبالِ على قولِ فريقٍ آخرَ[2]. وعلى كلا المذهبين يكونُ المرادُ بقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نفيَ الإيمانِ عن أكثرِ النّاسِ مُستمِرًّا استمرارَ هذه الحياةِ إلى أنْ يرثَ اللّهُ الأرض ومَن عليها.

الكفرُ مِن أغلبِ البشرِ مستمرٌّ إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها

نكتةُ حذفِ متعلِّقِ الإيمان:

دلَّ حذفُ متعلِّقِ الإيمان في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/ 529.

(2) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص: 296.

يُؤْمِنُونَ﴾؛ على عُموم وشُمولِ وسَعَةِ الحُجج والبراهين الَّتي تأتي للنّاس، الدّالَّةِ على قدوم الحساب، وعلى عظيم خَلْقِ الله وشأنِه في التَّقديرِ والقيّوميَّة على ما خَلَقَ. وهو ما يدلُّ على وحدانيَّةِ الله وعظيم شأنه، وأنَّه من المُحال أنْ يتركَ هذا الخلق بلا حسابٍ، ولكنَّهم لا يؤمنون مهما جاءهم من الآياتِ والنُّذُرِ، قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: 101]، فهم في حالةٍ لا تُغني معهم الآياتُ، ولا تنفعُ معهم الحججُ والبراهين.

البراهينُ على القيامةِ والبعثِ شاملةٌ واسعة

نكتةُ الاستدراكِ بالجملة الاسميَّة:

أفادَتِ الجملةُ الاسميَّةُ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الثَّباتَ والاستقرارَ على حالةٍ معيَّنةٍ، فهم كما قال عنهم: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمَّد: 24]، فلا تُفتح هذه القلوبُ؛ لِما أصابها من العمى، وما جرى عليها من الرَّيْنِ ممّا كسبوا، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطفّفين: 14].

مِن وُجوهِ ضلالِ المنكرين ثباتُهم وإصرارُهم على الكفرِ والعمى القلبيِّ

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»